اجلها ، من اجل عائشة، من اجلها سأعود ، اريد ان تغذي قلقي الذي اعانيه ، اريد ان تخلق معي حياة اخرى لهذا القوم البائس ... انها هناك بينهم ، سأذهب اليها وحدها، لا اريد ان اقبلها ، لا اريد ان تلامس يدي نهديها . لا ، لا اريد ذلك. اريدها ذكاء لثورتي على كرمي، على امتي ، على العالم ، على العدل والظلم ، على النظام والعبث ، على الاخلاق والفساد ، على الحق ، على الاغتصاب ، اريد ان اكون انساناً ، سأهدم ذاتي لابنيها دوماً واعيش حالتي الجديدة التي اعمل فيها من اجل تغيير جديد .

هذه هي خيامنا قبور مسجاة مهترئة ، وهـا أنذا أقبل عليها كعملاق كبير يكاد يطأ اعشاش اليعاسيب . كانت عائشة مع اترابهـا يغسلن ثيابهن الخلقة البالية على حافةالنهر يطرقنها بقطع من الخشب لتنظيفها لندرة الصابون في ديارهم . ها هي ذي يعلو صوتها الناعم الجريء قائلة :« بهـالمي ١ حياة وما فيكن حياة ». ووقفت عند هذه الكلمة وكنت انتظر ان يعلو النقاش ويشتد وكنت ارقب واحدة من صديقاتها ان ترفع صوتها احتجاجـاً او دفاعاً ، عبثاً كأن واحدة منهن لم تفهم مـا عنت عائشة ، او لعلهن فهمن مقصدها ولم يستطعن الدفاع عن انفسهن .

والتفتت عائشة الي فابتسمت ابتسامة خفيفة استقبلتني بها . الا ان دموعها الحبيسة في عينيها انفلتت فجأة كأنها تريد ان تعبر لي عن خيبتها في بنات جنسها ، ونظرت اليها وبقيت صامتاً لم تفتر شفتاي عن ابتسامة متبادلة كأنني اريد ان اعبر لها عن خيبتي في ابناء قومي !..

***

بارك الصحب زواجنا بعد شهر من انتحار صديقي . وباركنـا نحن نضالنا الجديد المشترك، نضالنا في سبيل كرامتنا وحريتنا وارضنا ومستقبلنا. لم يكن من أمل يحدونا في جهادنا ولم يكن من ألم متميز يدفع بنا الى العمل والجهاد .لا لقد كنا نعيش في ذواتنا وجودنا نحن وعدم الآخرين، ولذلك فقد كان نضالنا ضارياً ..

كانت عائشة قلبي الذي يحس ويألم ويتعطف ، وكنت انا فكرها وثورتها وقرارها ، كان لنا اتجاه في نضالنا لم نعينه ولم نحدده ، لقد كان مجرد نضال وكان علينا ان نبلو فيه اشد البلاء ، وكان علينا ان نحياه لا أن ننسال في اخدوده المنظم . وكان همنا في البداية التنقل بين مخيمات اللاجئين نبحث عن النفوس الراكدة ، عدا الامكانيات الصدئة ، نريد ان نجلو عنها غبارهـا وصدأها .

والحق اننا لم نجابه عنتاً في ازالة ما تراكم على نفوس ابناء امتنا . لقد فهموا ان لا أجل ولا حق ولا وجود بدون عمل ، وان عليهم اولا ان يولدوا ولادة جديدة كي يبنوا حياة جديدة ولذلك فأنهم سوف يعيشون مرة واحدة كي يموتوا مرة واحدة في سبيـل عيش شريف . سيكونون فداء امتهم ، سنتسلل الى بلادنا ، سنفجر هناك طاقاتنـا وسنفتح الابواب لكرامتنا كي تسترد اعتبارها ، سنفتح الابواب لامتنا كي تعود الى ارضها فتجعلها قاعدة ، ولن تكون مقبرة .

سنموت جميعاً،هذا مبدأنا وهذه هي نهايتنا ولكننا سنحيا في قلوب ابنائنا وسوف نرصّع صفحات تاريخنا المجيد .

دمشق — عفيف بهنسي

١ أي في هذه الماء .

الجذع الجريح

•

نزلنا على وادٍ لبسنا ظلاله
وهمنا على نفح الربيع زمانا
وفرّقنا ما فرّق الناس قبلنا :
صروف ... فأنسينا الربيع كلانا
وظل على الجذع القديم جراحةٌ
وآية حب ثمّ يذكّرانا
وقد تمسح الايام كل كتابة
ويبقى على خضر الجراح هوانا
فياتلك، ان جئتِ العقيق ملمةً،
فأدني على الجذع الدميّ لمانا
وان رابك السرو البهيج فانني
خلعت على السرو البهي رؤانا
.. كذلك نجتاز الزمان وننثني
نلملم عن رمل الزمان خطانا
ونختزل الماضي هناتٍ نحبها
ونعصر واحات الربيع دنانا

جان عزيز